Journal of Islamic Sciences (JIS) • Vol 6, Issue 5 (2023) • P: 74 - 61
https://journals.ajsrp.com/index.php/jis
ISSN: 2664-4347(Online) • ISSN: 2664-4339 (Print)

Sarfa as one of the miraculous aspects of The Quran between the supporters and opponents, review and study

Dr. Shahd Atwan Saleh Al-Maliki

Adham University College | Umm Al-Qura University | KSA

Received: 21/07/2023

Revised: 01/08/2023

Accepted: 07/09/2023

Published: 30/12/2023

* Corresponding author: sasmalki@uqu.edu.sa

Citation: Al-Maliki, SH. A. (2023). Sarfa as one of the miraculous aspects of The Quran between the supporters and opponents, review and study. *Journal of Islamic Sciences, 6*(5), 61 – 74. https://doi.org/10.26389/AJSRP.U210723

2023 © AISRP • Arab Institute of Sciences & Research Publishing (AISRP), Palestine, all rights reserved.

• **Open Access**

This article is an open access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY-NC) license

Abstract: This study aims to understanding the opinions of both sides regarding "Sarfa" and determining the correct view on whether or not it is one of the miraculous aspects of the Quran. The study utilizes criticism, analysis, and comparison of the opinions of scholars. The main findings include: the definition of "Sarfa" according to Al-Nizham, Al-Jahizh, Al-Asbahani and Al-Rumani is a miracle made by Allah to prevent the Arabs from challenging the Quran. They were capable of doing so, but they were prevented by an external factor, causing a miracle, but if they had not been prevented by that factor, they would have brought something like the Quran. According to Al-Sharif Al-Murtada and Ibn Sinan Al-Khafaji, "Sarfa" means that Allah deprived the Arabs of the knowledge that would have enabled them to challenge the Quran; and this "Sarfa" is a miracle. A third view adopted by Al-Fakhr Al-Razi, Ibn Kathir and Al-Alusi states that the original rule in the Quran is that it is miraculous by itself. The advocates of "Sarfa" do not have any convincing evidence, from the Quran & Sunnah or logical evidence, to support their claims. Moreover, their view was based on illusions and weak evidence.

Keywords: Holy Quran - Quranic miracle - Quran challenge.

الصَّرْفَة كوجهٍ من أوجُه إعجاز القرآن الكريم بين المؤيّدين والمعارضين - عرض ودراسة –

الدكتورة / شهد عطوان صالح المالكي

الكلية الجامعية بأضم | جامعة أم القرى | المملكة العربية السعودية

المستخلص: يهدف هذا البحث إلى معرفة القائلين بالصَّرْفَة والمعارضين لها، والرأي الصحيح في كون الصَّرْفَة وجهًا من وجوه إعجاز القرآن. وقد اعتمدتُ في بحثي على شيء من النقد والتحليل والترجيح لما ورد من كلام للعلماء. ومن أبرزِ النتائج التي توصَّلتُ إليها: أنَّ الصَّرفة عند النَّظام والجاحظ والأصبهاني والرُّماني هي صرف الله هِمم العرب عن مُعارضة القرآن، وكانت في مقدورهم ولكن عاقهم عنها أمرٌ خارجي فصار معجزة، ولو لم يصرفهم عن ذلك لجاءوا بمثله، أمَّا عند الشريف المرتضى وابن سنان الخفاجي فهي: أنَّ الله سلب العرب العلوم التي تُمكِّنهم من مُعارضة القرآن، وهذا الصَّرْف خارق للعادة، وهناك فريق ثالث متوسِّطون: يرون أنَّ الأصل في القرآن أنَّه مُعجز بذاته، منهم الفخر الرازي وابن كثير والآلوسي. وليس عند القائلين بالصَّرْفة دليلٌ نقليٌّ ولا عقليٌّ داحضٌ مُقنع على أنَّهم قد صُرِفوا عن ذلك، بل إنَّ مذهبهم قائم على توهُّمات وأدلَّة واهية.

الكلمات المفتاحية: القرآن الكريم – الإعجاز القرآني – الصرفة.

المقدِّمة

الحمد لله ربِّ العالمين، ومُرسل الرُّسل مُتتابعين، آخرهم خير الخلق أجمعين. وبعد:

إنَّ هذا القرآن الكريم لا تنقضي عجائبه، فكلَّما قلب العلماء صفحاته أعطاهم من فيض عطائه، فيظهر لهم عجائبه التي لا تنقضي، ووجوه إعجازه التي لا تنتهي، فيُذعن له كلُّ عاقل، فيُعْلَم أنَّه من لَدُن ربٍّ عظيم، تحدَّى به العرب والعجم بالإتيان بمثله، فعجزوا عن مُعارضته مع أنَّهم أهل الفصاحة والبلاغة، وهذا التحدِّي لا يزال قائمًا إلى قيام الساعة، فيتبيَّن من ذلك إعجاز ألفاظه ومعانيه.

هذا وبعد الاتفاق على معجزة القرآن الكريم، تسابق أهل العلم لإبراز الجهة التي من أجلها كان القرآن مُعجزًا، فتعدَّدت أوجُه الإعجاز، فظهرت هذه الأوجُه بين قائلين بها ومُعارضين لها، ومن هذه الوجوه التي نُسِبَتْ لإعجاز القرآن (الإعجاز بالصَّرْفَة)، وهي قضية تُثبِت أنَّ الإعجاز في صَرْف الله لهم، لا في القرآن نفسه، وقد تصدَّى لها أهل العلم سلفًا وخلفًا، بين مُؤيِّد ومُعارض ومُتوسِّط بين التأييد والمعارضة. ولقد جاء هذا البحث لدراسة مفهوم الصَّرْفَة والردّ على القائلين بها.

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

1- صلته الوثيقة بالقرآن الكريم؛ فهو يُعنى بجانبٍ من جوانب الإعجاز قبولًا أو ردًّا.
2- حمايةُ القرآن الكريم من المفاهيم المنحرفة الباطلة التي يُلصقها أهل الضلال بالقرآن الكريم.
3- المساهمة في إزالة اللَّبْس بين الإعجاز والصَّرْفَة من حيث معناها ومفهومها.

أهداف البحث:

1- إزالة اللَّبْس بين معنى ومفهوم الإعجاز والصَّرْفة ومصدرهما.
2- معرفة القائلين بالصَّرْفَة والمعارضين لها، ومَن هم المتوسطون في القول بينهما.
3- الرأي الصحيح في كون الصَّرْفَة وجهًا من وجوه القرآن الكريم.

منهج البحث:

1- بما أنَّه لم يصل إلينا كلُّ ما دوَّنه القدماء عن هذا الموضوع، وآراؤهم قد انتشرت في كتب العلماء، فسيكون الاستقراء ناقصًا؛ وذلك لأنّ الباحث أبرز مَن تكلَّم في الموضوع لأنَّهم في النهاية قد توافقت آراؤهم، لهذا فأقتصر الباحث على البارزين منهم.
2- اعتمد الباحث في بحثي هذا على شيء من النقد والتحليل والمناقشة والترجيح لما ورد من كلام للعلماء.
3- وَثَّق الباحث المادة العلمية في البحث كما يلي: عَزْو الآيات إلى سُورها في القرآن الكريم، وتخريج الأحاديث بإحالتها إلى مصادرها، وبيان حُكم العلماء عليها، وشرح الكلمات الغريبة، والتعريف بالمصطلحات التي تحتاج إلى تعريف، وضبط ما يحتاج إلى ضبطٍ بالشكل ويُشكِلُ فِهمه.

الدراسات السابقة:

1- مِن كتُب المؤيِّدين للصَّرْفة: الموضح عن جهة إعجاز القرآن -الصَّرْفَة-: للشريف المرتضى علي بن حسين الموسوي. طُبع بتحقيق محمد رضا الأنصاري القمي بمؤسَّسة الطبع والنشر التابعة للآستانة الرضوية سنة ١٤٢٤هـ. وعدد صفحاته ٣٤٥ صفحة، تكلَّم فيه صاحبه عن بيان مذهب الصَّرْفة، وذكر أدلَّة – بزعمه – على أنَّ نَظْم القرآن ليس بمعجز، وأنَّ الله صرَف العرب عن المعارضة، وذكر مذهب جماعة من المعتزلة في ذلك، وذكر المذاهب في وجوه إعجاز القرآن، وفصلًا في بيان ما يلزم مُخالفي الصَّرْفة، ونقل كثيرًا من كلام القاضي عبد الجبار من كتابه المغني، وفصلًا في الدلالة على وقوع التحدِّي بالقرآن، وفصلًا في أنَّ مُعارضة القرآن لم تقع لتعذُّرها، وفصلًا في أنَّ تعذُّر المعارضة كان مُخالفًا للعادة.
2- مِن كتُب المعارضين للصَّرْفة: القول بالصَّرْفَة في إعجاز القرآن عرض ونقد: للدكتور عبد الرحمن بن معاضة الشهري. طُبع بدار ابن الجوزي، الطبعة الأولى سنة ١٤٣٢هـ، وعدد صفحاته ١١٨ صفحة، تكلَّم فيه عن تعريف الصَّرْفة والمؤلَّفات فيها، ونشأة القول بالصَّرْفة، والقائلين بالصَّرْفة وأدلَّتهم، وأبرز المعارضين للصَّرْفة وأدلَّتهم، وخلاصات واستنتاجات.
3- القول بالصَّرْفَة في إعجاز القرآن الكريم، للدكتور إبراهيم بن منصور التركي. وهو بحث مُكوَّن من أربعين ورقة، تكلَّم فيه عن تعريف الصَّرْفة ومصدرها، والقائلين بها، وأبرز العلماء الذين رفضوا فكرة الصَّرْفة، وسمات ونتائج فكرة الصَّرْفة.
4- الصَّرْفة، للدكتور محسن الخالدي، وهو بحث نشرته مجلة الجامعة الإسلامية - فلسطين، ضمن سلسلة الدراسات الشرعية (المجلد الثاني عشر – العدد الثاني)، وقد قسَّمه المؤلف إلى ثلاثة مباحث وخاتمة؛ المبحث الأوَّل: تكلَّم فيه معنى الصَّرْفة وبيان

نشأتها وبواعث القول بها، والمبحث الثاني: تكلَّم فيه عن القائلين بالصَّرْفة، والمبحث الثالث: تكلَّم فيه عن نقض القول بالصَّرْفة، والخاتمة: تكلَّم فيها عن أهمِّ نتائج البحث التي توصَّل إليها.

اختلاف البحث عن الدراسات السابقة:

حوت هذه الدراسة مواضيع متفرِّقة عن الصَّرْفة، منها: تعريف الإعجاز وتعريف الصَّرْفة؛ لمعرفة التبايُن والاختلاف بينهما، وذكر الباحث أشهر القائلين بالصَّرْفة والمعارضين لها والمتوسطين بينهما ومفهومها لديهم، وذلك بتقسيم واضح مختصر، وذكر الباحث مدى ثبوت ذلك عنهم من عدمه من خلال ذِكْر ما يثبت من أقوالهم فيه، ثم ناقش الباحث القول بالصَّرْفة وهو محور البحث، فالهدف هو مناقشة الفكرة نفسها وإبطالها، فبيَّنت في المبحث الأوَّل أثرها الاعتقادي، حيث إنَّ القول بالصَّرْفة لا يتفق مع اعتقادنا أنَّ القرآن مُعجز في ذاته، فذكرت مُقدِّمة عن دلالة وقوع التحدِّي والمعارضة مع ذكر شيء من أقوال بعض فُصحاء قريش على إعجاز القرآن، ثم في المبحث الثاني عرضت أدلَّة بطلان القول بالصَّرْفة (النقلية والعقلية)، فجمعت أكثر من أربعة عشر وجهًا في إبطال القول بالصَّرْفة وبيان تهافُتها، وتبيين فساد وإبطال القول بالصَّرْفة وبيان مُناقضته لإعجاز القرآن، وقيامه على اعتقادات باطلة وأدلَّة عقلية واهية.

خطَّة البحث: وقد جاء البحث في مقدِّمة وتمهيد، وثلاثة مباحث وخاتمة، كما يلي:

المقدمة: وفيها ما تقدم.

التمهيد: تعريف الإعجاز في القرآن.

المبحث الأوَّل: تعريف الصَّرْفَة ومصدرها.

المبحث الثاني: الأقوال حول نظرية الصَّرْفَة.

المبحث الثالث: مناقشة القول بالصَّرْفَة.

الخاتمة: وفيها أهمُّ النتائج والتوصيات.

التمهيد: تعريف الإعجاز في القرآن

أوَّلًا: الإعجاز لغة واصطلاحًا:

تعريف الإعجاز لغة: مشتق من العجز، والعجز: الضعف أو عدم القدرة، وهو مصدر

أعجز بمعنى السبق والفوت[1]. يُقال: "**عجز أعجزني فلان، إذا عجزت عن طلبه وإدراكه، والعَجْز نقيض الحَزْم، وعَجَزَ يعْجَزْ عَجْزاً فهو عاجز: ضعيف**" [2].

تعريف الإعجاز اصطلاحًا: أمر خارق للعادة، مقرون بالتحدِّي، سالم من المعارضة[3].

ثانيًا: القرآن لغة واصطلاحًا:

تعريف القرآن في اللغة: القرآن مأخوذ من كلمة "قرأ" بمعنى: تلا، وهو مصدر مرادف للقراءة، وقد ورد بهذا المعنى في قوله: (**إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ**) [القيامة: 17] أي: قراءته[4]. وقيل: «القرآن أصله من "القرء" بمعنى: الجمع والضم، يُقال: قرأت الماء في الحوض، أي: جمعته فيه، وسُمِّي قرآنًا؛ لأنَّه يجمع الآيات والسور ويضمُّ بعضها إلى بعض»[5]، وقيل: القاف والراء والحرف المعتل: أصل صحيح يدلُّ على جمع واجتماع، ومنه القرآن[6].

تعريف القرآن في الاصطلاح: كلام الله تعالى، المنزل على نبيِّنا محمد ﷺ، المكتوب في المصاحف، المنقول إلينا نقلًا متواترًا، المتعبَّد بتلاوته، المتحدَّى بأقصر سُورة منه [7].

(1) ابن منظور: لسان العرب (5/ 37)، الأصفهاني: المفردات (ص: 322).

(2) الفراهيدي: العين (1 / 215).

(3) السيوطي: الإتقان (4/ 3)، القرطبي: الجامع لأحكام القرآن (1/ 96)، العسقلاني: فتح الباري (6/ 581).

(4) ابن منظور: لسان العرب (129/1).

(5) المرجع السابق (1 /128).

(6) ابن فارس: مقاييس اللغة (5/ 78، 79).

(7) الشوكاني: إرشاد الفحول (86/1)، وانظر: السيوطي: الإتقان (158/1).

ثالثًا: تعريف إعجاز القرآن:

إظهار صدق النبي ﷺ في دعوى الرسالة بإظهار عجز العرب عن مُعارضته في معجزته الخالدة -وهي القرآن الكريم- وعجز الأجيال بعدهم[8].

المبحث الأوَّل: تعريف الصَّرْفَة ومصدرها

وفيه مطلبان:

المطلب الأوَّل: تعريف الصَّرْفَة لغة واصطلاحًا

أولاً: الصَّرْفَة في اللغة: على وزن فَعْلَة -بفتح الصاد وسكون الراء وفتح الفاء- "صَرْفَه"، وهو رَدُّ الشيء عن وجهه، صَرَفَه يَصْرِفُه صَرْفًا فانْصَرَفَ وصارَفَ نفْسَه عن الشيء صَرفَها، وصارف نفسه عن الشيء: صرفها عنه. كما قال –تعالى- في سورة التوبة [آية: 127]: (ثُمَّ انْصَرَفُوا) أي: رجعوا عن المكان الذي استمعوا منه[9]. ومن الردّ تجيء استعمالات كثيرة، منها: صرف النقود؛ أي: تغييرها، كذلك بمعنى إخلاء السبيل، وأيضًا بمعنى صرْف القلوب؛ أي: إحالتها عن الهداية. والمصْرِف: المعدِل، والتصريف: كالصَّرْف مع التكثير، كتصريف الأمور، والرياح؛ يعني: تحويلها من حال إلى حال، والانصراف مُطاوع الصرف[10]. وقال الزَّجَّاج: تصريف الْآيات تَبْيينُها وإيضاحها. وقوله تعالى: (وَصَرَّفْنَا الْآيَاتِ) [الأحقاف: 27] ؛ أي: بَيَّنَّاها[11]، وقال الخليل: وصَرْف الكلام: تزيينه والزِّيادةُ فيه، وسُمِّي بذلك؛ لأنَّه إذا زُيِّن يَصرِف الأسماعَ إلى استماعه[12]. والصَّرْفُ: التقلُّبُ والحيلةُ[13]، ويأتي الصَّرْف بمعاني أخرى كالتوبة والقيمة والتطوُّع والمثل والعدل والميل والنافلة[14].

فمادة (صَرْفَ) عند أهل اللغة معناها يدور حول: الردّ والرجوع والتحوُّل والتبيين والتقلُّب.

ثانيًا: الصَّرْفَة في الاصطلاح:

1- صرف الله هِمم العرب عن مُعارضة القرآن الكريم، وكان بمقدورهم، لكن عاقهم عنها أمرٌ خارجي، فصار مُعجزة كسائر المعجزات، ولو لم يصرفهم عن ذلك، لجاءوا بمثله [15]، ومِمَّن قال بهذا: النَّظَّام، والجاحظ، والأصبهاني، والرُّماني، والخطَّابي، وابن حزم.

2- إنَّ الله سلب العرب العلوم والمعارف التي تُمكِّنهم من مُعارضة القرآن الكريم، وهذا الصَّرْف خارق للعادة، فصار كسائر المعجزات[16]، ومِمَّن قال بهذا: الشريف المرتضى، وابن سنان.

المطلب الثاني: مصدر القول بالصَّرْفَة ودوافعها

أولاً: مصدر القول بالصَّرْفَة.

اختلف العلماء في أوَّل مَن قال بالصَّرْفة ومصدر القول بها على قولين:

أحدهما: أنَّ مصدر الصَّرْفة هم الهنود من البَراهِمة الذين كانوا يعتقدون أنَّ الصَّرْف عن مُعارضة كتابهم المقدَّس "البيذا" أو "الفيدا"[17]. وقد ذكر محمد أبو زهرة بأنَّ بعض المتفلسفين من المسلمين اطَّلعوا على كتابهم "الفيدا"، وهو يشتمل على مجموعة من

(8) القطان: مباحث في علوم القرآن (265).

(9) انظر: ابن منظور: لسان العرب (7/ 328).

(10) انظر: معجم ألفاظ القرآن الكريم (2 /70).

(11) انظر: الأزهري: تهذيب اللغة (12/ 114).

(12) مقاييس اللغة: لابن فارس (3 / 342).

(13) الفيروز آبادي: القاموس المحيط (3/ 156).

(14) ابن منظور: لسان العرب (7/ 328).

(15) الزركشي: البرهان (2/ 93)، السيوطي: الإتقان (4/ 7). وانظر: الرماني: النكت في إعجاز القرآن (110).

(16) السيوطي: الإتقان (4/ 7).

(17) فيدا: كلمة سنسكريتية معناها: المعرفة أو الحكمة، وكتاب "الفيدا" هو كتاب الهندوس المقدَّس، ويتألَّف من أربعة أسفار، وهو أقدم من التوراة بآلاف السنين. انظر: محمد الحمد: رسائل في الأديان والفرق والمذاهب (34).

الشعر، ويقول عنها جمهور علمائهم: إنَّ البشر يعجزون عن الإتيان بمثل هذه الأشعار؛ لأنَّ براهما صرَفهم عن الإتيان بمثلها[18]. ويقول البيروني: "إنَّ خاصَّتهم يقولون: إنَّ في مقدورهم الإتيان بأمثالها، ولكنَّهم ممنوعون من ذلك احترامًا لها"[19].

القول الآخر: أنَّ مصدر الصَّرْفة هو إبراهيم النَّظَّام المعتزلي[20]، وبذلك قال الرافعي: أنَّه لَمَّا نجَمَت آراء المعتزلة بعد توجُّههم لدراسة كتُب الفلسفة عن اليونان ونحوهم، فنبغت لهم شؤون أخرى من الكلام، فطرأ لهم الخلط بين تلك الفلسفة على أنَّها نظرٌ صرفٌ، فذهب شيطانُ المتكلِّمين النَّظَّام إلى أنَّ الإعجاز كان بالصَّرْفة[21].

ومن خلال هذا القولين يتبيَّن لنا مصدر القول بالصَّرْفة، وأوَّل مَن قال بها، فمصدرها البراهمة الهنود، وأخذها منهم النَّظَّام الذي يُعتبر أوَّل مَن قال بها ودعا إليها.

ثانياً: دوافع القول بالصَّرْفَة.

بعد أن ثبت أنَّ النَّظَّام هو أوَّل مَن أعلن عن الصَّرْفة، لا بُدَّ من معرفة الأسباب التي دعته للقول عن الصرفة بأنها وجه من وجوه الإعجاز، وهذه الأسباب كالتالي:

1- الطعن في نبوَّة محمد ﷺ ومعجزاته، فسَلَبَ صفة الإعجاز عن القرآن المعجز، وأنكر نبوَّة الرسول ﷺ، قال البغدادي متكلِّمًا عن النَّظَّام: بأنَّه أنكر إعجاز القرآن في نظمه، وأنكر ما فيه من معجزات نبيِّنا -عليه السلام- من انشقاق القمر ونبوع الماء من بين أصابعه وتسبيح الحصى؛ ليتوصَّل بإنكار المعجزات إلى إنكار نبوَّته[22].

2- كان النَّظَّام في العصر الذي نشطت فيه الترجمة[23]، وازدهرت كثير من الفنون بأنواعها، وتُرْجِمَت كتُب الديانات والفلسفة إلى العربية، فكان لذلك أثره في دخول أفكار جديدة إلى بلاد المسلمين، وظهر التقليد الأعمى لها من ضِعاف النفوس الذين يسعون لنشرها كما فعل النَّظَّام، قال أبو زهرة: "وعندما دخلت الأفكار الهندية تلقَّف الذين يحبُّون كلَّ الدخيل من الأفكار والغريب، فدفعتهم الفلسفة إلى اعتناق ذلك القول، وطبَّقوه على القرآن الكريم"[24].

3- إنَّ النَّظَّام واسع المعرفة والثقافة، وكان له اطلاع على عقائد البراهمة وتأثُّر بها. وكان ينساق مع الغريب والخواطر ويبني عليها الأقوال، كما قال ذلك عنه الجاحظ [25].

المبحث الثاني: الأقوال حول نظرية الصَّرْفَة

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأوَّل: القائلون بالصَّرْفَة.

عند تتبُّع مفهوم الصَّرْفَة عند العلماء نجد أنَّ لها مفهومين، وهي حسب القائلين بها كالتالي:

المفهوم الأوَّل: صرف الله هِمم العرب عن مُعارضة القرآن، وكان في مقدورهم، لكن عاقهم عنها أمرٌ خارجي، فصار معجزة كسائر المعجزات، ولو لم يصرفهم عن ذلك، لجاءوا بمثله. ومِمَّن قال بهذا:

أوَّلًا: النَّظَّام [ت: 231هـ]: (إبراهيم بن سيار بن هانئ النَّظَّام البصري).

فهو أوَّل مَن قال بالصَّرْفة وأعلنها ودعا إليها[26]، قال عنه عبد القاهر البغدادي: "أُعْجِب بما قاله البراهمة بإبطال النبوَّات، ولم يجسُر على إظهار هذا القول خوفًا من السيف، فأنكر إعجاز القرآن في نظمه"[27]، فيتبيَّن من هذا أنَّ النَّظَّام ينفي إعجاز القرآن الكريم في النظم، وقال بأنَّ في مقدور العباد الإتيان بمثله، لولا أن منعهم اللهُ عن المعارضة على جهة الجبر والعجز والمنع، وأحدثه فيهم، ولو تركهم لكانوا قادرين أن يأتوا بمثله في البلاغة والنظم والفصاحة.

---

(18) انظر: أبو زهرة: المعجزة الكبرى القرآن (1/ 57 - 58).

(19) البيروني: ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة (98).

(20) الشهرستاني: الملل والنحل (1/ 56)، البغدادي: الفَرْق بين الفِرَق (114).

(21) انظر: الرافعي: إعجاز القرآن والبلاغة النبوية (101).

(22) البغدادي: الفرق بين الفرق (ص: 144) وأيضًا (ص: 128).

(23) في عهد العباسيين من نهاية القرن الثاني وبداية القرن الثالث.

(24) انظر: أبو زهرة: المعجزة الكبرى القرآن (1/ 58).

(25) انظر: الشهري: القول بالصَّرْفة في إعجاز القرآن عرض ونقد (ص: 36).

(26) قال أبو زهرة عنه: "هو أوَّل مَن جاهر بذلك، وأعلنه ودعا إلى ذلك". انظر: المعجزة الكبرى للقرآن (1/ 71).

(27) البغدادي: الفرق بين الفرق (128).

ثانيًا: الجاحظ [ت: 255هـ]: (عمرو بن بحر بن محبوب الليثي).

تصدَّى الجاحظ لهذه النظرية عند النَّظَّام فاستنكرها وردَّها، ولكنَّ القول بصَرْف نفوس العرب عن المعارضة للقرآن كان مِمَّا يعتقده ويدعو إلى ذلك، غير أنَّ ذلك الصَّرْف الذي اعتقده الجاحظ ليس لأنَّهم قادرون على مثله والله منعهم كما قاله النَّظَّام، بل لئلَّا يكون لأعداء الدِّين مجال للطعن في الدِّين، وهذا ثاني المفاهيم للصَّرْفة عند المعتزلة[28].

وهذا المفهوم عند الجاحظ للصَّرْفة لا يُنكِرُ فيه إعجاز ونظم القرآن، ولا ينفي عنه البلاغة والفصاحة، كما أنَّ الرافعي نفى عن الجاحظ القول بالصَّرْفة حيث قال: إنَّ الجاحظ كان رأيه في الإعجاز كرأي أهل العربية، وهو أنَّ القرآن الكريم في أعلى درجات البلاغة والفصاحة التي لم يصل إليها[29]. وللجاحظ كتابٌ بعنوان (نظم القرآن)، حيث قال عنه الرافعي مدافعًا به عنه: أنَّ الجاحظ صنَّف كتابًا في نظم القرآن، وهو أوَّل كتاب أُفرِد في القول في الإعجاز[30]، وقد يكون الجاحظ ناقلًا للقول بالصَّرْفة عن شيخه النَّظَّام، ولم يكن يعتقده، أو أنَّه مِمَّا قال به بادئ الأمر في بداية طلب العلم، ولَمَّا اعتلى في سُلَّم العلم والثقافات ظهر له خطأ وبُطلان القول بالصَّرْفة فحاز عنها.

ثالثًا: الأصبهاني [ت: 322 هـ]: (أبو مسلم محمد بن بحر الأصبهاني).

ذهب الأصبهاني إلى أنَّ إعجاز القرآن الكريم يكون من جهة النظم، ومن جهة صَرْف الناس عن مُعارضته. فيقول: "إنَّ إعجاز القرآن يكون في أمرين: أحدهما: إعجاز متعلِّق بنفسه، وهو الذي يتعلَّق بفصاحة القرآن وبلاغته. والآخر: بصَرْف الناس عن المعارضة... وأمَّا الإعجاز المتعلِّق بصَرْف الناس عن مُعارضته، فظاهر أيضًا إذا اعتبر..."[31].

رابعًا: الرُّمَّانيُّ [ت: 384هـ]: (أبو الحسن بن عيسى بن علي بن عبد الله).

أمَّا الصَّرْفة عند الرماني فلا يُنكِرُ فيها إعجاز القرآن وبلاغته، فيقول الرماني: وأمَّا الصَّرْفة فهي صَرْف الهِمم عن مُعارضة القرآن الكريم، وعلى ذلك كان يعتمد بعض العلماء في أنَّ القرآن مُعجز من جهة صَرْف الهِمم عن مُعارضته، وذلك خارج عن العادة كسائر المعجزات التي دلَّت على النبوَّة، وهذا أحد وجوه الإعجاز التي يظهر منها للعقول[32].

خامسًا: الخطَّابيّ [ت: 388هـ]: (حَمْدُ بن محمد بن إبراهيم البُسْتيُّ).

يُعدُّ الخطابي مِمَّن قال بالصَّرْفة، حيث قال: لقد ذهب قومٌ إلى أنَّ العلَّة في الإعجاز هي الصَّرْفة، أي: صَرْف هِمم الناس عن مُعارضة القرآن الكريم، وإن كان مقدورًا عليها، غير عاجز عن المعارضة، إلا أنَّ العائق أمرٌ خارجٌ عن العادات، فصار كسائر المعجزات[33].

سادسًا: القاضي عبد الجبار [ت: 415هـ]: (قاضي القضاة أبو الحسن عبد الجبار بن أحمد بن الخليل بن عبد الله الهمداني).

وهو مِمَّن قال بالصَّرْفة أيضًا، حيث قال: "أنَّ الدواعي انصرفت عن المعارضة؛ لعلمهم بأنَّها غير مُمكنة، ولولا علمهم بذلك، لم تكن لتنصرف دواعيهم؛ لأنَّا نجعل انصراف دواعيهم تابعًا لمعرفتهم بأنَّها مُتعذِّرة"[34].

سابعًا: أبو إسحاق الإسفراييني [ت: 418 هـ] (إبراهيم بن محمد بن إبراهيم).

فقد عدَّها وجهًا من وجوه الإعجاز، قال الإيجي: وقيل: إعجازه بالصَّرْفة، على معنى أنَّ العرب تستطيع المجيء بمثل القرآن قبل البعثة، لكنَّ الله صرفهم عن مُعارضة القرآن، واختُلِف في كيفية الصَّرْف، فقال الأستاذ أبو إسحاق، والنَّظَّام من المعتزلة: صَرَفهم الله عنها مع القُدرة عليها[35].

ثامنًا: الراغب الأصفهاني [ت: 425 هـ] (الحسين بن محمد).

وعدَّها كذلك الأصفهاني وجهًا من وجوه الإعجاز، فقال: إنَّ إعجازه ذُكِر من وجهين: أحدهما: إعجاز يتعلَّق بنفسه، والآخر: يتعلَّق بصَرْف الناس عن مُعارضة القرآن... فلمَّا دعا الله أهل البلاغة إلى مُعارضة القرآن، وعجزوا عن الإتيان بمثله، ولم يقصدوا لمعارضته، فلم يخفَ على ذوي البلاغة أنَّ صارفًا إلهيًّا صَرَفهم، وأيُّ إعجاز أعظم من أن يكون كافة أهل البلاغة عجزوا في الظاهر عن مُعارضة مصروفة في الباطن عنها [36].

---

(28) انظر: الجاحظ: الحيوان (6/ 455)، والسيوطي: الإتقان (4 / 6).

(29) انظر: الرافعي: إعجاز القرآن (102).

(30) انظر: الرافعي: إعجاز القرآن (151).

(31) انظر: السيوطي: الإتقان في علوم القرآن (4 / 12).

(32) انظر: الرماني: النكت في إعجاز القرآن (110).

(33) انظر: الخطابي: بيان إعجاز القرآن (ص: 20).

(34) القاضي عبد الجبار: المغني (16 / 334).

(35) انظر: الإيجي: شرح المواقف (3/ 392).

(36) انظر: الراغب الأصفهاني: مفردات ألفاظ القرآن (7/ 15)، السيوطي: معترك الأقران (5/1).

تاسعًا: الماوردي [ت: 450 هـ] (أبو الحسن علي بن محمد). وهو من القائلين أيضًا بالصَّرْفة فقال: "الوجه العشرون من أوجُه إعجاز القرآن: الصَّرْفة عن مُعارضته، واختُلف فيمَن هو القائل بها، وهل صُرفوا عن القدرة على مُعارضة القرآن مع دخوله في مقدورهم؟ على قولين: أحدهما: إنَّهم صُرِفوا عن القدرة، ولو قدروا لعارضوا. والثاني: إنَّهم صُرِفوا عن مُعارضته مع دخولها في مقدورهم. والصَّرْفة إعجاز على القولين معًا، في قول مَن قال بالنفي أو مَن أثبتها، فإنَّ خَرْقها للعادة فيما دخل في القدرة، ثم يقول:... فإذا ثبتت معجزة القرآن من هذه الوجوه، صحَّ أن يكون كلٌّ منها معجزًا، فإذا جمع القرآن سائرها كان إعجازه أقهر، والحُجَّة أظهر؛ لأنَّ مَدار الحُجَّة في المعجزة إيجاد ما لا يستطيع الخَلْق المجيء بمثله"[37].

عاشرًا: ابن حزم الظاهري [ت: 456 هـ] (علي بن أحمد بن حزم الأندلسي).

وابن حزم من القائلين بالصَّرْفة، حيث قال: أنَّ الله -جلَّ وعلا- منع الخَلْق عن المجيء بمثله، وكساه ثوب الإعجاز، وسلبه من جميع كلام الخَلْق [38].

المفهوم الثاني: أنَّ الله سلب العرب العلوم التي تُمكِّنهم من مُعارضة القرآن الكريم، وهذا الصَّرْف خارقٌ للعادة، فصار كسائر المعجزات. ومِمَّن قال به:

أوَّلًا: الشريف المرتضى [ت: 436هـ]: (علي بن الحسين بن موسى).

قال الشريف المرتضى: إنَّ الصَّرْفة هي أنَّ الله سلب العرب جميع العلوم والمعارف التي تُمكِّنهم من المعارضة له. فإنَّه يقول: إنَّ الله -عزَّ وجلَّ- صَرَف العرب وسلبهم العلوم التي يُحتاج إليها في مُعارضة القرآن، وهذا الصَّرْف خارق للعادات، فصار كسائر المعجزات [39].

وقال أيضًا: "إنَّ الله –جلَّ وعلا- سلب الناس العلوم والمعارف التي تتأتَّى من البلاغة والفصاحة والتي هي مثل القرآن متى راموا المعارضة، ولو لم يسلبهم ذلك لكان يتأتَّى منهم"[40].

ثانيًا: ابن سنان الخفاجي [ت: 466 هـ] (عبد الله محمد بن سعيد الخفاجي).

وقال بها كذلك ابن سنان في كتابه (سرُّ الفصاحة) فيقول: إذا عُدنا إلى التحقيق وجدنا إعجاز القرآن هو صَرْف العرب عن مُعارضته، بأن سُلِبُوا العلوم والمعارف التي بها كانوا يتمكَّنون من المعارضة، وقت مرامهم ذلك"[41]. وقال: متى رجع الإنسان إلى نفسه، وكان لديه معرفة بالتأليف، فسيجد في كلام العرب ما يُضاهي القرآن في تأليفه ...!)[42].

المطلب الثاني: القائلون ببُطلان الصَّرْفَة:

أوَّلًا: الخطابي [ت: 388 هـ] (حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب).

وهو من المعارضين لمفهوم الصَّرْفة في القرآن، فقال: "لأنَّ دلالة الآية تشهد بخلافه، وهي قوله: (قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا) [الإسراء: 88]، فأشار –سبحانه- في ذلك إلى أمر طريقه التكلُّف والاجتهاد، وسبيله التأهُّب والاحتشاد، والمعنى في الصَّرْفة التي وصفوها لا يُلائم هذه الصفة، فدلَّ على أنَّ المراد غيرها"[43]. وهذا النقض من الخطابي للصَّرْفة نقض دقيق، ومن الأدلَّة العقلية للقائلين بها، فإن كانت الصَّرْفة لأجل أمر خارجي فلا داعي من اجتماع الجنّ والإنس لمعارضة القرآن الكريم، فالإعجاز في اعتقادهم يكون بالمنع وليس في النظم، قيل: "ويُفهم من قول الخطابي أنَّ الصَّرْفة على قول النَّظَّام واضحة المعالم، حيث وضَّحها وشرحها القائلون بها، والوجه الذي نقض به الخطابي الصَّرْفة وجه دقيق؛ إذ لا جدوى من اجتماع الجنّ والإنس، حيث كان صَرْفهم صرفًا خارجًا عن إرادتهم عن المعارضة، وكأنَّ الخطابي عند وصفه وجه أحد وجوه الصَّرْفة بأنَّها وجه قريب، كان يعني أنَّه قريب فهمه للعقول التي لا تطلب التعمُّق في الأدلَّة"[44].

ثانيًا: أبو بكر الباقلاني [ت: 403 هـ] (محمد الطيب بن محمد القاضي).

(37) انظر: الماوردي: أعلام النبوة (89 -90).

(38) انظر: ابن حزم: الفِصَل في الملل والأهواء والنحل (3 / 18).

(39) انظر: الشريف المرتضى: الملل والنحل (1 / 143).

(40) جعفر السبحاني: الإلهيات (3/ 341)، السفاريني: لوامع الأنوار البهية (1/ 174).

(41) الخفاجي: سر الفصاحة (ص: 100).

(42) الخفاجي: سر الفصاحة (ص: 99).

(43) الخطابي: بيان إعجاز القرآن (23).

(44) الشهري: القول بالصَّرْفة في إعجاز القرآن عرض ونقد (ص: 84).

وهو من الذين أنكروا القول بالصَّرْفة، حيث قال: إنَّ مِمَّا يُبطل ما ذُكِر من القول بالصَّرْفة أنَّه إن كانت مُعارضة القرآن مُمكنة لم يكن كلامه -جلَّ وعلا- معجزًا، وإنَّما يكون المعجز هو المنع، فلا يتضمَّن الكلام فضيلة على غيره في نفسه[45]، فأبطل القول بالصَّرْفة، ودليله: لو كان القول بالصَّرْفة مُمكنًا فلا إعجاز للكلام، فالمعجز هو المنع الخارجي لا الكلام نفسه.

ثالثًا: القاضي عبد الجبار [ت: 415 هـ] (أبو الحسن عبد الجبار بن أحمد). وهو من الذين ردُّوا القول بالصَّرْفة أيضًا، حيث قال: بيَّن -سبحانه وتعالى- عظم شأن القرآن بقوله: (قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا) [الإسراء: 88]، فنبَّه على أنَّ له فيه من صفة الفصاحة ما لا تُدركه العباد، ولو كانوا يقدرون عليه، وإنَّما لو صُرِفوا عنه لم يكن لهذا القول معنى[46].

رابعًا: عبد القاهر الجرجاني [ت: 471 هـ] (عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد).

وهو من المعارضين أيضًا للقول بالصَّرْفة فيقول: "فإن قلت: فكيف الكلام عليهم، إذا ذهبوا في "الصَّرْفة" إلى زعمهم أنَّ التحدِّي كان أن يأتوا في أنفُس معاني القرآن الكريم بمثل نظمه وألفاظه؟ وما الذي دلَّ على فساد ذلك؟ فإنَّ على فساد ذلك أدلَّة منها: قوله تعالى: ﴿**أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ**﴾ [هود: 13]..."[47]، فهو هنا يرفض الصَّرْفة في القرآن ويُبيّن خطأ القائلين بها، وذكر بعض الأدلَّة والبراهين التي تُبيّن إعجاز القرآن وبُطلان الصَّرْفة، فقال: بما يُبيّن إعجاز القرآن وإبطال الصَّرْفة بما جاء عن العرب في شأن القرآن الكريم، ومنها: الأخبار التي جاء بها العرب في تعظيم القرآن الكريم ووصفه بما وصفوه به كقولهم: "إنَّ عليه لطلاوة، وإنَّ له لحلاوة، وإنَّ أسفله لمغدق، وإنَّ أعلاه لمثمر"، وذاك أنَّ محالًا أن يُعظِّموه، وأن يُهتوا عند سماعه، ويستكينوا له، وهم يرون فيما قالوه وقاله الأوَّلون ما يُوازيه، ويعلمون أنَّه لم يتعذَّر عليهم؛ لأنَّهم لا يستطيعون مثله"[48].

خامسًا: الزركشي [ت: 794 هـ] (محمد بن عبد الله بن بهادر).

قال الزركشي: إنَّ الله -جلَّ وعلا- صَرَف العرب عن مُعارضة القرآن، وكان مقدورًا لهم، لكن عاقهم أمرٌ خارجيٌّ، فصار كسائر المعجزات وهو قولٌ فاسد بدليل: قوله تعالى: (قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا) [الإسراء: 88]، فإنَّه يدلُّ على العجز مع بقاء القدرة، ولو سُلِبت منهم القدرة لم يبقَ فائدة من اجتماعهم؛ لمنزلته منزلة اجتماع الموتى" [49].

فقد نقض القول بالصَّرْفة من خلال قوله السابق بأدلَّة عقلية ونقلية وهي:

1- أنَّه لا فائدة من اجتماع الجنِّ والإنس في مُعارضة الله –تعالى- لهم في الآية لو كان الصارف لهم أمرًا خارجيًّا، ولكان اجتماعهم اجتماع الموتى؛ لِسَلْبِهم القدرة على المعارضة.
2- أنَّ الإجماع مُنعقد على إعجاز القرآن نفسه لا غيره.
3- كما أنَّ القول بالصَّرْفة في القرآن يلزم منه زوال الإعجاز بزوال زمان التحدِّي، وهو زمن نزول القرآن، فلا يكون بعد ذلك الوقت مُعجزًا، وهو مخالف للإجماع عند المسلمين.
4- كما أنَّ القول بخلوِّ القرآن الكريم من الإعجاز يلزم منه نفي معجزة القرآن الباقية.

المطلب الثالث: المتوسِّطون بينهما وأدلَّتهم

هناك فريق ثالث من العلماء يرى أنَّ الأصل في القرآن أنَّه معجز بذاته. وهم:

أولاً: الفخر الرازي [ت: 606 هـ] (محمد بن عمر بن الحسين بن علي).

يقبل الرازي الصَّرْفة في المواطن التي لا يُقال فيها بالفصاحة، ويُثْبِت الإعجاز في مواضع الفصاحة، ويقول: إنَّ الإعجاز في قصار السور من القرآن الكريم يكون بالصَّرْفة؛ منعًا من المكابرة، والاتهام في الدِّين؛ لأنَّه في استطاعة البشر الإتيان بمثله أو ما يقربه، خلافًا للطوال من السور، فالإعجاز فيها يكون بالفصاحة فيها [50].

ثانياً: ابن كثير [ت: 774هـ] (عماد الدِّين أبو الفداء إسماعيل بن عمر).

(45) انظر: الباقلاني: إعجاز القرآن (ص: 48).
(46) انظر: القاضي عبد الجبار: تنزيه القرآن عن المطاعن (232).
(47) انظر: الجرجاني: الرسالة الشافية (ص: 150).
(48) الجرجاني: الرسالة الشافية (152).
(49) انظر: الزركشي: البرهان في علوم القرآن (2/ 94).
(50) الرازي: التفسير الكبير (2/ 117).

يرى ابن كثير بأنَّ طريقة القول بالصَّرْفة كوجهٍ من وجوه الإعجاز تصلح على سبيل المجادلة للخصم، والدفاع عن الحقّ، موافقة لما ذكره الرازي في تفسيره عن السور القصار.[51]

ثالثاً: الآلوسي [ت: 1270هـ] (شهاب الدين الآلوسي).

والآلوسي مِمَّن يقبل الصَّرْفة في بعض المواطن التي لا يُقال فيها بالفصاحة، فيقول: لا بأس بانضمام الصَّرْفة إلى ما ذُكِر من وجوه الإعجاز في القرآن، وأمَّا الاكتفاء به فلا أظنُّك ترضاه[52].

المبحث الثالث: مناقشة القول بالصَّرْفَة

وفيه مطالبان:

المطلب الأول: إعجاز القرآن.

أولاً: الدلالة على وقوع التحدّي والمعارضة بالقرآن.

تحدَّى الرسول –صلَّى الله عليه وسلَّم- العرب بالقرآن الكريم إلا أنَّهم وقفوا عاجزين عن مجاراة الأسلوب القرآني البليغ، وهم أصحاب البلاغة والفصاحة، وهم مِمَّن امتازوا بسلامة السليقة وسرعة البديهة، وكان التحدّي بالقرآن تدريجيًّا[53]، قال محمد دراز في سرّ هذا التدرُّج في التحدّي: "انظر كيف تدرَّج القرآن الكريم معهم من طلب المماثل إلى طلب شيء مِمَّا يُماثل، فكأنَّه يقول لهم: لا أكلِّفكم بمثله، بل يكفي أن تأتوا بشيء فيه شيء من المماثلة، وهذا أقصى ما يكون من التنازُل، ولذلك كان آخر ما نزل في التحدّي، ولهذا لم يأتِ التحدّي بلفظٍ من مثله إلا في الآيات التي نزلت في المدينة، بينما التحدّي بالمثل نزل في السور المكية"[54]. وهو كالآتي:

أوَّلًا: تحدَّاهم بأن يأتوا بمثل القرآن، وذلك في قوله تعالى: (فَلْيَأْتُواْ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُواْ صَٰدِقِينَ) [الطور: 33-34].

ثانيًا: فلمَّا عجزوا تحدَّاهم أن يأتوا بعشر سُور، وذلك في قوله: (أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُواْ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُواْ مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِين) [هود:13].

ثالثًا: فلمَّا عجزوا تحدَّاهم أن يأتوا بسورة من مثله، وذلك في قوله: (قُلْ فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُواْ مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِين) [يونس:38].

رابعًا: ثم كرَّر التحدّي، وجزم بأنَّهم لن يستطيعوا، وذلك في قوله: (وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُواْ شُهَدَاءكُم مِّن دُونِ اللّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِين) [البقرة: 23].

خامسًا: ثم سجَّل القرآن الهزيمة النهائية بقوله تعالى: (قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا) [الإسراء: 88].

وهكذا يُثبت القرآن الكريم عجز البشرية والجنّ عن أن يأتوا بمثل هذا القرآن الكريم، على الرغم مِمَّا اشتُهر به العرب من الفصاحة والعلم، والتحدّي مُستمرٌّ إلى قيام الساعة.

ثانياً: اعترافات لبعض الفصحاء من قريش على إعجاز القرآن.

1- اعتراف الوليد بن المُغيرة:

فالوليد بن المغيرة اعترف بأنَّ ما قُرِئ ليس من كلام الإنس ولا الجنّ ولا السحَرة، وهذا الاعتراف أملاه عليه قلبُه وفكره وسليقته العربية عندما سمع كلام الله -جلَّ وعلا- المعجز، فقال: "واللهِ إنَّ في قوله حلاوة، وعليه لطلاوة ومُثمر أعلاه، مُغدق أسفله، وإنَّه لَيَعلو وما يُعلى عليه، وأنَّه لَيُحطِّم ما تحته"[55]، وإن كان ذكر بعدها ادِّعاءً مخالِفًا لما نطق به؛ لتعلُّقه بدِين آبائه الأوَّلين فقال: هذا سحر يُؤثر، يأثره عن غيره.

2- اعتراف عُتبة بن ربيعة:

لَمَّا سمع عتبة بن ربيعة ما قرأه عليه رسولُ الله ﷺ من الآيات أنصت له عتبة واستمع عنه، حتى انتهى رسولُ الله ﷺ، فقام عتبة إلى القوم، فقال بعضهم لبعض: نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به، فلمَّا جلس إليهم قالوا: ما بك يا أبا الوليد؟ قال: إنِّي والله قد سمعتُ قولًا ما سمعتُ بمثله قط، واللهِ ما هو بشعر ولا سحر ولا كهانة، يا معشر قريش أطيعوني، خلُّوا بين

(51) انظر: ابن كثير: تفسير القرآن العظيم (57/1).

(52) انظر: الآلوسي: تفسير روح المعاني (1/ 30).

(53) السيوطي: الإتقان (1/ 198).

(54) محمد دراز: النبأ العظيم (ص: 84).

(55) انظر: البيهقي: السيرة النبوية (2/ 198).

هذا الرجل وبين ما يدعو إليه واعتزلوه، فو الله ليكوننَّ لقوله الذي سمعتُه نبأ، فإن تُصبه العرب فقد كُفيتموه بغيركم، وإن يظهر على العرب فمُلكه مُلككم، وعِزُّه عِزُّكم، وستكونون أسعد الناس به، قالوا: سَحَرَك واللهِ يا أبا الوليد بلسانه، فقال: هذا رأيي فاصنعوا ما بدا لكم" [56].

3- موقف أبي سفيان بن حرب، وأبي جهل بن هشام، والأخنس بن شريق.

فهؤلاء الثلاثةُ من فُصحاء قريش وأكثر أعداء النبي ﷺ، وهم أبو سفيان، وأبو جهل، والأخنس بن شريق، باتوا ثلاثة ليالي في الخفاء؛ حتى يستمعوا إلى القرآن الكريم، وما هذا إلَّا لأنَّهم علموا أنَّ القرآن الكريم كلامٌ معجزٌ، فلمَّا أصبح الأخنس بن شريق خرج حتى أتى أبا سفيان في منزله، فقال: أخبرني يا أبا حنظلة عن رأيك فيما سمعت من محمد؟ فقال: يا أبا ثعلبة والله لقد سمعتُ أمورًا أعرف ما يُراد بها، فقال الأخنس: وأنا والذي حلفتَ به، ثم خرج من عنده حتى أتى أبا جهل فدخل عليه منزله فقال: يا أبا الحكم ما رأيُك فيما سمعت من محمد؟ فقال: ماذا سمعت؟ تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف، أطعموا فأطعمنا، وحملوا فحملنا، وأعطوا فأعطينا، حتى إذا تجاثينا على الرُّكَب وكنَّا كفرسي رهان، قالوا: منَّا نبيٌّ يأتيه الوحي من السماء فمتى نُدرك هذه، والله لا نُؤمن به أبدًا ولا نُصدِّقه فقام عنه الأخنس بن شريق"[57].

4- اعتراف الطفيل بن عمرو الدوسي:

قال ابن إسحاق: "قدِم الطفيل مكة ورسول الله ﷺ بها، فذهب إلى بيت رسول الله، فقال له: يا محمد، إنَّ قومك قد قالوا لي كذا وكذا، فوالله ما برحوا يُخوِّفونني أمرك حتى سددتُ أذني بكرسف؛ لئلَّا أسمع قولك، ثم أبى اللهُ إلا أن يُسمعني، فسمعته قولًا جميلًا، فاعرضْ عليَّ أمرك، قال: فعرض عليَّ رسول الله ﷺ الإسلام، وتلا القرآن الكريم، فلا والله ما سمعتُ قولًا قط أحسن مِمَّا قال، ولا أمرًا أعدل منه، قال: فأسلمتُ وشهدتُ شهادة الحقِّ، وقلت: يا نبيَّ الله، إنِّي امرؤ مُطاع في قومي، وأنا راجع إليهم، وداعيهم إلى الإسلام، فادعُ الله أن يجعل لي آية تكون عونًا عليهم، فقال: اللهمَّ اجعل له آية"[58].

5- اعتراف أنيس وإسلام أبي ذر الغفاري وأمه وأخيه أنيس:

قال أبو ذر: "قال أنيس: إنَّ لي حاجة بمكة فاكفني حتى آتيك، فانطلق أنيس حتى أتى مكة، فراث عليَّ، ثم أتاني، فقلت: ما حبسَك؟ قال: لقيتُ رجلًا بمكة يزعم أنَّ الله أرسله، قال: قلت: ما يقول الناس؟ قال: يقولون إنَّه ساحر وشاعر، قال: وكان أنيس أحد الشعراء، قال: فقال أنيس: لقد سمعتُ قول السحَرة فما هو بقولهم، وسمعت أقوال الشعراء فوالله ما يلتئم على لسان أحد بعدي إنَّه شعر، ووالله إنَّه لَصَادق، وإنَّهم لكاذبون... فانطلقتُ حتى أتيتُ أخي أنيسًا فقال لي: ما صنعت؟ قلت: صنعت أنِّي أسلمتُ وصدَّقتُ، قال: فما بي رغبة عن دِينك، فإنِّي قد أسلمتُ وصدَّقتُ، ثم أتينا أُمَّنا، فقالت: ما بي رغبة عن دِينكما، فإنِّي قد أسلمتُ وصدَّقتُ، قال: ثم احتملنا حتى أتينا القوم غفارًا، فأسلم النصف قبل أن يقدم رسول الله ﷺ "[59].

المطلب الثاني: الأدلَّة على بُطلان القول بالصَّرْفَة.

أوَّلًا: الأدلَّة النقلية على بُطلان الصَّرْفَة.

1- يرد عليه قوله تعالى: (قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا) [الإسراء: 88]، فإنَّه يدلُّ على العجز مع بقاء القدرة، ولو سُلِبوا القدرة لم يبقَ هناك فائدة لاجتماعهم[60]. قال الخطابي: "إنَّ دلالة الآية تشهد بخلاف ذلك...، فأشار -سبحانه وتعالى- في ذلك إلى أمر طريقه التكلُّف والاجتهاد، وسبيله التأهُّب والاحتشاد، والمعنى في الصَّرْفة التي وصفوها لا يُلائم هذه الصفة، فدلَّ على أنَّ المراد غيرها"[61].

والإجماع على أنَّ القرآن هو المعجز قبل القول بالصَّرْفة وقبل ظهور هذا المذهب الدخيل، كما ذكره القرطبي في تفسيره، فقال: أنَّ وجه الإعجاز هو المنع من مُعارضة القرآن الكريم، والصَّرْفة عند التحدِّي بمثله، وأنَّ الصَّرْفة هو المعجزة دون ذات القرآن الكريم؛ وذلك أنَّ الله -جلَّ وعلا- صرف هِممهم عن مُعارضة القرآن مع التحدِّي بأن يأتوا بسورة من مثله، وهذا فاسد؛ لأنَّ إجماع الأمَّة أنَّ القرآن هو المعجز، فلو قلنا: إنَّ المنع والصَّرْفة هو المعجز لخرج القرآن عن كونه مُعجزًا، وذلك خلاف إجماع المسلمين، وإذ كان كذلك

(56) انظر: البيهقي: دلائل النبوة (2/ 205).

(57) انظر: البيهقي: دلائل النبوة (2/ 207).

(58) انظر: ابن هاشم: السيرة النبوية (2/ 22).

(59) انظر: البيهقي: دلائل النبوة (2/ 208).

(60) السيوطي: الإتقان (2/ 314).

(61) الخطابي: بيان إعجاز القرآن (23 – 24).

عُلِم أنَّ نفس القرآن هو المعجز؛ لأنَّ فصاحته أمر خارق للعادات؛ إذ لم يُوجد قط كلام على هذا الوجه، فلمَّا لم يكن ذلك الكلام مألوفًا ومعتادًا منهم دلَّ على أنَّ المنع والصَّرْفة لم يكن معجزًا[62].

2- أسلوب القرآن الكريم المعجز، وما ورد من الآيات الدالَّة على فصاحته وتأثُّر النفوس به كقول الله تعالى: (وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلقُرءَانِ وَٱلغَواْ فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَغلِبُونَ) [فصلت: 26]، ففيه إعراض الكفار عن سماع القرآن الكريم، وأمرهم لبعضهم بعدم السماع إليه والإعراض عنه؛ حتى لا تتأثَّر به النفوس، فاتضح أنَّ المعجز هو القرآن الكريم نفسه لا غيره، إذ لو كانوا قد صُرِفُوا عن المعارضة أو سُلِبُوا العلوم كما قيل لما كان لخوفهم مكان.

والقول بالصَّرْفة قد عُزِي للنَّظَّام من المعتزلة، وقد قال القاضي عبد الجبار أحد مشاهير المعتزلة، وهو حيث قال: "فقد كان يجب أن يكون قَدر القرآن في فصاحته قَدر ما جرت به العادة قبل ذلك، وإنَّما مُنِعوا من مثله في المستقبل، ولو كان كذلك لم يكن المعجز هو القرآن الكريم؛ لكونه مساويًا لكلامهم، ولتمكُّنهم من قبلُ من فعل مثله في قَدر الفصاحة، وإنَّما كان يكون المعجز ما حدث منهم من المنع، فكان التحدِّي يجب أن يقع بالمنع لا بالقرآن، حتى لو لم يُنزل الله -جلَّ وعلا- القرآن الكريم، وجعل دليل نبوَّته امتناع الكلام عليهم على الوجه الذي اعتادوا عليه، لكان الإعجاز لا يختلف، وهذا مِمَّا نعلم بُطلانه باضطرار؛ لأنَّه -عليه السلام- تحدَّى العرب بالقرآن، وجعله العُمدة في هذا الباب، على أنَّ ذلك لو صحَّ لم يقدح في صحَّة النبوَّة؛ لأنَّه كان يكون بمنزلة أن يقول ﷺ: دلالة نبوَّتي أنِّي أُريد المشي في جهة فيتأتَّى لي على العادة، وتُريدون المشي فيتعذَّر عليكم، فإذا وجد الأمر كذلك دلَّ على نبوَّته؛ لكون هذا المنع على هذا الوجه ناقضًا للعادة"[63].

ثانيًا: الأدلَّة العقلية على بُطلان الصَّرْفَة.

1- إنَّ القول بالصَّرْفة يلزم منه أن يكون المنع هو المعجز لا الكلام؛ لأنَّ الكلام كغيره من كلام الشعراء وأهل الفصاحة ليس فيه فضيلة، قال الباقلاني: "ومِمَّا يُبطل القول بالصَّرْفة أنَّه لو كانت المعارضة مُمكنة، وإنَّما منع منها الصَّرْفة، لم يكن الكلام معجزًا، وإنَّما كان المنع معجزًا، فلا يتضمَّن الكلام فضلًا على غيره في نفسه"[64].

2- إنَّ آيات التحدِّي تُفيد الطلب منهم الإتيان بمثل القرآن، فكيف يطلب الله شيئًا قد صرفه، فلو كان مفهوم الصَّرْفة هو الصحيح لما كان لتحدِّي الله لهم وجهًا، تعالى الله عن ذلك.

3- كما إنَّ آيات التحدِّي تدلُّ على إثبات الإعجاز في القرآن الكريم لا في غيره، فكيف يدعوهم الله -جلَّ وعلا- إلى المعارضة ثم يسلب القدرة، قال الجرجاني: "وفي سياق آيات التحدِّي ما فيه دلالة على فساد هذا القول، حيث لا يُقال عن الشيء يُمنَعُهُ الإنسان بعد أن كان قادرًا عليه، وبعد أن كان يكثُر مثلُه: (إنِّي قد جئتُكم بما لا تقدرون على مثله ولو اجتمعتم له، ودعوتم الإنس والجنَّ إلى نُصرتكم فيه)، وإنَّما يُقال: إنِّي أُعطيتُ أن أحول بينكم وبين كلام كنتم تستطيعونه وأمنعُكم إيَّاه، وأن أُفحِمكم عن القول الفصيح، وأعدمكم اللفظ الشريف"[65].

4- ليس عند القائلين بالصَّرْفة دليلٌ نقليٌّ أوعقليٌّ قوي وداحضٌ ومقنع على أنَّهم قد صُرِفوا عن ذلك، ومذهبهم قائم على بعض الأدلَّة العقلية الضعيفة التي لا تُقبل، كما لم يُنقَل لنا شيء من أقوال الصدر الأوَّل عند نزول القرآن الكريم عليهم يُؤيِّد ما ذهبوا إليه من هذا المذهب.

قال الجرجاني: "لو أنَّ العرب كانت مُنِعت منزلة من الفصاحة قد كانوا عليها؛ لكان ينبغي لهم أن يعرفوا ذلك من أنفسهم، ولو عرفوه لجاء عنهم قول ذلك، ولقالوا للنبي ﷺ: إنَّا كنَّا نستطيع قبل أن تأتينا بهذا، ولكنَّك سحرتنا، واحتَلْتَ في أمرٍ حالَ بيننا وبينه. فنسبوه إلى السحر، وكان أقلُّ ما يجب في ذلك أن يتذاكروه فيما بينهم... ولم يُذكر أنَّه كان هناك قولٌ في مثل هذا المعنى، وهذا دليلٌ على أنَّه قول فاسد"[66].

5- إنَّ الواقع يُكذِّب ذلك، فقد قام قومٌ بالمعارضة للقرآن الكريم منهم: مسيلمة الكذاب وغيره، وهذه محاولات منهم باطلة، ولو أنَّ هذا المذهب صحيح لما عارض أحدٌ القرآن الكريم[67].

6- لو أنَّ الله سلب العرب القُدرة لزالت قدرتهم عن مُعارضة غير القرآن الكريم، ولزالت علومهم وبلاغتهم، قال الجرجاني: "يلزم أن تكون العرب قد تراجعت حالها في البلاغة والفصاحة والنظم، وأن ينقصوا في أذهانهم، ولكانوا عدموا الكثير مِمَّا كانوا يستطيعونه،

(62) انظر: القرطبي: تفسير القرآن (1/ 75).

(63) عائشة عبد الرحمن: تفسير القرآن (ص: 84).

(64) الباقلاني: البرهان في علوم القرآن (ص: 132).

(65) الجرجاني: دلائل الإعجاز (ص: 615).

(66) الجرجاني: دلائل الإعجاز (ص: 614).

(67) النجار: أسرار إعجاز القرآن (ص: 102).

وأن يكون كلامهم وما لديهم من شعر وخُطب وكلُّ كلام احتفلوا فيه قاصرًا القصور الشديد، وأن يكون قد ضاق عليهم مجال قد كان يتَّسع لهم، ونضبت عنهم موادُّ قد كانت تغزُر، وخذلتهم قوًى قد كانوا يصولون بها، وأن تكون أشعار شعراء الرسول ﷺ التي قالوها في مدحه -عليه السلام- وفي الردِّ على المشركين ناقصة عن شعر العرب في الجاهلية"[68].

7- لو لم يكن عجز العرب عن مُعارضة القرآن الكريم إلا لصَرْفهم عن ذلك، لكان آية ودليلًا على صدق نبوَّة الرسول ﷺ، قال الجرجاني: "لو لم يكن عجزهم عن مُعارضة القرآن الكريم وعن الإتيان بمثل القرآن؛ لأنَّه مُعجِز في نفسه إلا أن أدخل عليهم العجز عنه، وصُرِفت الهِمم وخواطرهم عن الإتيان بكلام مثله، وكان حالهم حال من أُعدِم العلم بشيء قد كان عالمًا به، وحِيل بينه وبين أمر قد كان يتَّسع له، لكان ينبغي أن لا يتعاظَمَهم؛ ولا يكون منهم ما يدلُّ على إكبارهم أمره، والعجب منه، وعلى أنَّه قد أبهرهم، وعظم عندهم، بل كان ينبغي أن يكون الإكبار منهم والتعجُّب للذي دخل من العجز عليهم، ورأوا من تغيُّر الحال، ومن أن حِيل بينهم وبين شيء قد كان عليهم سهلًا، وسُدَّ دونهم باب كان لهم مفتوحًا"[69].

8- لو كانوا قد صُرِفوا عن مُعارضة القرآن الكريم، لم يكن من قبلهم من العرب مصروفين عنه؛ لأنَّهم لم يُتحدَّوا به، فكان يجوز أن نعثر في كلِّ العرب الأقدمين على ما يُشبه القرآن الكريم، وهذا ما لم نجده في تاريخ أدبهم[70].

9- لو كان مفهوم الصَّرْفة صحيحًا كما قالوا، لما نطقت ألسُن بعض قريش ببلاغة ونظم القرآن، وتعجَّبوا من حُسن فصاحته وبلاغته، كما جاء عن الوليد بن المغيرة وغيره.

10- قول الجرجاني في ردِّه على مَن يقول بالصَّرْفة، قال: "ينبغي أن يُقال: ما هذا الذي أخذتم به؟ وما التأويل منكم في عجز العرب عن المعارضة للقرآن الكريم؟ وما دعاكم إليه؟ وما أردتم منه؟ أأن يكون لكم قولٌ يُحكى، وتكونوا أمَّة على حدة، أم قد أتاكم في هذا الباب علم لم يأتِ الناس؟ فإن قالوا: أتانا فيه علم. قيل: أهو نظرٌ ذلك العلم أم خبر؟ فإن قالوا: من نظر. قيل لهم: كأنَّكم تقصدون أنَّكم نظرتم في نظم القرآن ونظم كلام العرب ووازنتم بينهم؛ فوجدتموه لا يزيد إلا بالقدر الذي لو خلوا، واجتهادكم وإعمال فكركم، ولم تفرق عنهم خواطرهم عند القصد إليه، والمقصد له لأتوا بمثله؟ فإن قالوا: كذلك نقول. قيل لهم: فأنتم تدَّعون الآن أنَّ نظرتكم في الفصاحة نظر لا يغيب عنه شيء من أمرها، وأنَّكم قد أحطتم علمًا بأسرارها، وكان لكم فيها فهمٌ وعلم لم يكن لأحد قبلكم. وإن قالوا: عرفنا ذلك بالخبر. قيل: فهاتوا ما عندكم من أخبار، وأنَّى لهم تعريف ما لم يكن، وتثبيت ما لم يُوجد!"[71].

مِمَّا سبق يتبيَّن أنَّ الصَّرْفة نشأت بين المعتزلة على يد النَّظَّام، وأخذها بعد ذلك عنه طُلَّابه ومَن تبعه، مع اختلافهم في مفهوم الصَّرْفة، فالمعارضون تصدَّوا لهذا القول فرفضوه وردُّوا عليه ولم يقبلوه كوجهٍ من وجوه الإعجاز، وهذا يجعل الصَّرْفة مذهبًا باطلًا مردودًا غير صحيح، يستوجب رفضه وعدم موافقته ولا القول به.

يقول الإمام الباقلاني: "وأخيرًا فإنَّ الصَّرْفة تُصوِّر القرآن معجزة حسية معقدة خفية، فلو كان المراد الإعجاز الحسي لما كان ثَمَّة داعٍ لجعله مصحوبًا بتلك الصورة الكلامية مع التحدِّي بها، فذلك نمط مُرْبِكٌ عسير الإدراك، يُستغنى عنه بأهون شيء يقطع ما بين النبي وقومه من جدل ومُعاناة"[72]. فالقول بالصَّرْفة زعم باطل لا دليل عليه من النقل والعقل.

الخاتمة

هذا آخرُ هذا البحث وخاتِمَتُه، والتي أعرضُ فيها أبرزَ النتائج، وأهمَّ التوصيات، من خلال النقاط التالية:

1- مِمَّا سبق يتبيَّن اختلاف القائلين بالصَّرْفة في مفهومها، فقد أخذ القول بالصَّرْفة بوصفةً وجهاً من وجوه الإعجاز أشكالًا تطوُّريَّة، فقد كان اجتهادًا مُبتدَعًا عند النَّظَّام، ثم طوَّرها قليلًا الجاحظ وأضاف إليها، ثم صارت وجهاً من وجوه إعجاز القرآن عند الرماني.

2- معظم الذين قالوا بالصَّرْفة ينتسبون إلى طائفة المعتزلة، وهذا بسبب النهج العقلاني الذي يستعمله المعتزلة للنظر والحُكم على الأمور، مِمَّا يدلُّ على أنَّ فكرة الصَّرْفة فكرة مُعتزلية، على أنَّه ليس هناك رأي قاطعٌ يُوضِّح المصدر الذي نبعت منه هذه الفكرة، لذا يظلُّ القول بحقيقة مصدرها أمرًا اجتهاديًّا لا يمكن الجزم به.

(68) الجرجاني: دلائل الإعجاز (ص: 390).

(69) الجرجاني: دلائل الإعجاز (ص: 390).

(70) الباقلاني: إعجاز القرآن (ص: 32).

(71) الجرجاني: الرسالة الشافية (ص: 155).

(72) الباقلاني: إعجاز القرآن (ص: 29- 30).

3- لقد اتخذت الصَّرْفة ثلاث صور: الأولى: أنَّ الله صرف العرب عن أن يأتوا بمثل القرآن وهو في مقدورهم، وهذا هو رأي النَّظَّام. والثانية: أنَّ الله صرف العرب عن مُعارضة القرآن – وإن لم يكن في مقدورهم –، وهذا هو رأي الجاحظ والرماني. والثالثة: أنَّ الله صرف العرب عن معرفة العلوم التي يحتاجون إليها في المعارضة؛ لذلك لم يستطيعوا مُعارضته، وهذا هو قول الشريف المرتضى وابن سنان الخفاجي.

4- هناك فريق ثالث من العلماء بين القائلين بالصَّرْفَة والمعارضين لها، فهم لا ينفون القول بالصَّرْفة ولا يُجيزونها، ويرون أنَّ الأصل في القرآن أنَّه مُعجز بذاته. منهم: الرازي، وابن كثير.

5- القول بالصَّرْفة لا يتفق مع اعتقادنا أنَّ القرآن معجز في ذاته، والإجماع على أنَّ القرآن هو المعجز قبل القول بالصَّرْفة وقبل ظهور هذا المذهب الدخيل.

6- إنَّ آيات التحدِّي تُفيد الطلب منهم الإتيان بمثل القرآن، فكيف يطلب الله شيئًا قد صرفه، فلو كان مفهوم الصَّرْفة هو الصحيح لما كان لتحدِّي الله لهم وجهٌ، تعالى الله عن ذلك.

7- ليس عند القائلين بالصَّرْفة دليلٌ نقليٌّ أو عقليٌّ داحضٌ مقنع صحيح على أنَّهم قد صُرِفوا عن المعارضة، بل إنَّ مذهبهم قائم على اعتقادات باطلة وأدلَّة عقلية واهية لا تُقبل، فتبيَّن أنَّ الصَّرْفة مذهبٌ باطلٌ مردودٌ غير صحيح، يستوجب رفضه وعدم موافقته ولا القول به.

وأخيرًا: فقد استَرْعى انتباهي موضوعٌ للدراسة، وهو: دراسة مفهوم الصَّرْفة عند أئمَّة أهل السُّنَّة، والدفاع على مَن طُعِن فيه منهم وشُكِّك في مُعتقداتهم، وتوضيح ذلك في دراسة تحليلية نقدية.

وصلَّى الله وسلَّم وبارك على نبيِّنا محمدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله ربِّ العالمين.

قائمة المصادر والمراجع

- ابن حزم، علي بن أحمد الأندلسي. الفصل في الملل والأهواء والنحل. القاهرة: مكتبة الخانجي.
- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر. تفسير القرآن العظيم، بيروت: دار القلم، ط2، 1410هـ
- ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي. لسان العرب. بيروت: دار صادر، ط3، 1414 هـ
- الأسفراييني، عبد القاهر بن طاهر. الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية. بيروت: دار الآفاق الجديدة، ط2، 1977م.
- الأشعري، أبو الحسن علي بن إسماعيل. مقالات الإسلاميين. مصر: الهيئة المصرية العامة، ط1، 1392 هـ
- الآلوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله. تفسير روح المعاني، بيروت: دار الفكر، ط1، 1398هـ
- الإيجي، القاضي عضد الدين. المواقف. تحقيق: عبد الرحمن عميرة، بيروت: دار الجيل، ط1، 1997م.
- الإيجي، عضد الدين. كتاب المواقف. تحقيق: عبد الرحمن عميرة. بيروت: دار الجيل، ط1، 1997م.
- بنت الشاطئ، عائشة عبد الرحمن. تفسير القرآن. القاهرة: دار المعارف، ط3.
- البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين. مناقب الشافعي. تحقيق: أحمد صقر، القاهرة: مكتبة دار التراث، ط1، 1971م.
- البيهقي، أحمد بن الحسين. الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف. تحقيق: أحمد عصام الكاتب، بيروت: دار الآفاق الجديدة، ط1.
- البيهقي، أحمد بن الحسين. دلائل النبوة. المحقق: د. عبد المعطي قلعجي، لبنان: دار الكتب العلمية، ط1، 1408 هـ
- الجاحظ، عمرو بن بحر بن محبوب. الحيوان. بيروت: دار الكتب العلمية، ط2، 1424هـ
- الحميري، عبد الملك بن هشام. السيرة النبوية. تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، القاهرة: شركة الطباعة الفنية المتحدة.
- الخطاب، أبو سليمان حمد بن محمد. بيان إعجاز القرآن. تحقيق: محمد خلف الله، د. محمد زغلول سلام، مصر: دار المعارف، ط3، 1976م.
- الخطابي، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم. بيان إعجاز القرآن. تحقيق: محمد خلف الله، ود. محمد زغلول. القاهرة: دار المعارف، ط3، 1976م.
- الخفاجي، عبد الله بن محمد بن سعيد. سر الفصاحة. بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1402هـ
- دراز، محمد بن عبد الله. النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم. اعتنى به: أحمد مصطفى فضلية، قدَّم له: عبد العظيم إبراهيم المطعني، دمشق: دار القلم للنشر والتوزيع، 1426هـ
- الرازي، فخر الدين. التفسير الكبير. بيروت: دار الكتب العلمية، ط2.
- الرافعي، مصطفى صادق. إعجاز القرآن والبلاغة النبوية. بيروت: دار الكتاب العربي، ط8، 1425هـ

- الرماني، علي بن عيسى بن علي. النكت في إعجاز القرآن. المحقق: محمد خلف الله، د. محمد زغلول سلام. مصر: دار المعارف، ط:3، 1976م.
- الرماني، علي بن عيسى. النكت في إعجاز القرآن. تحقيق: محمد خلف الله، ود. محمد زغلول سلام. القاهرة: دار المعارف، ط4، 1976م.
- الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر. البرهان في علوم القرآن. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط:1، دار إحياء الكتب العربية: عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، 1376 هـ
- الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد. الأعلام. بيروت: دار العلم للملايين، ط15، 2002م.
- الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد. الأعلام. بيروت: دار العلم للملايين، ط:5، 2002م.
- السبكي، عبد الوهاب بن تقي الدين. طبقات الشافعية الكبرى. المحقق: د. محمود محمد الطناحي، د. عبد الفتاح محمد الحلو. الدمام: هجر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: 2، 1413هـ
- السفاريني، محمد بن أحمد بن سالم. لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية. دمشق: مؤسَّسة الخافقين ط:2، 1402 هـ
- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر. معترك الأقران في إعجاز القرآن، ويُسمَّى: (إعجاز القرآن ومعترك الأقران). بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1408 هـ
- السيوطي، عبد الرحمن جلال الدين. الإتقان في علوم القرآن. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط:1، 1394هـ
- الشهرستاني، أبو الفتح محمد. الملل والنحل. سوريا: مؤسَّسة الحلبي.
- الطوسي، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي. الاقتصاد في الاعتقاد. وضع حواشيه: عبد الله محمد الخليلي، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1424 هـ
- العلوي، الأمير يحيى بن حمزة. الطراز. بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1400 هـ
- القاضي، أبو الحسن عبد الجبار الأسد آبادي. المغني في أبواب التوحيد والعدل. قوَّم نصَّه: إبراهيم الإبياري، بإشراف الدكتور: طه حسين.
- كحالة، عمر رضا. معجم المؤلفين. بيروت: مؤسَّسة الرسالة، ط:1، 1414هـ
- الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد. أعلام النبوة، بيروت: دار ومكتبة الهلال، ط1، 1409هـ
- الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد. النكت والعيون. المحقق: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، بيروت: دار الكتب العلمية.
- مجلة الجامعة الإسلامية (سلسلة الدراسات الشرعية)، العدد الثاني، يونيو، 2004.
- المرتضى، الشريف علي بن الحسين الموسوي. الموضح عن جهة إعجاز القرآن. تحقيق: محمد رضا الأنصاري القم. إيران: مجمع البحوث الإسلامية، ط1، 1424 هـ
- منير سلطان. إعجاز القرآن بين المعتزلة والأشاعرة، الإسكندرية: منشأة المعارف، ط3، 1986م.
- النجار، جمال مصطفى. أسرار إعجاز القرآن. القاهرة: مكتبة الحسين الإسلامية، ط1، 1417 هـ
- الهمذاني، القاضي عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار. تنزيه القرآن عن المطاعن، بيروت: دار النهضة الحديثة، 2005 م.